

تفسير البحر المحيط

@ 151 @ صلى الله عليه وسلم) . وقال قتادة : الآية منسوخة بقوله : { قَاتِلُوا^١ السَّادِينَ لَا يُوْذُونَ^٢ } الآية . وقرأ الجمهور : إلا ، حرف استثناء ؛ وابن عباس : ألا ، حرف تنبيه واستفتاح ، وتقديره : ألا جادلوهم بالتي هي أحسن . { وَقُولُوا^٣ آمَنَّا^٤ } : هذا من المجادلة بالأحسن . { بِرَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ^٥ } ، وهو القرآن ، { وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ^٦ } ، وهو التوراة والزبور والإنجيل . .

وفي صحيح البخاري ، عن أبي هريرة : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) . { وَكَذَلِكَ^٧ } : أي مثل ذلك الإنزال الذي للكتب السابقة ، { أُنْزِلَ^٨ إِلَيْكَ^٩ الْكِتَابَ^{١٠} } : أي القرآن . { فَالَّذِينَ^{١١} آتَيْنَاهُمُ^{١٢} الْكِتَابَ^{١٣} } هم : عبد الله بن سلام ومن آمن معه . { وَمِنْ^{١٤} هَؤُلَاءِ^{١٥} } : أي من أهل مكة . وقيل : { فَالَّذِينَ^{١٦} آتَيْنَاهُمُ^{١٧} الْكِتَابَ^{١٨} } : أي الذين تقدموا عهد الرسول ، يؤمنون به : أي بالقرآن ، إذ هو مذكور في كتبهم أنه ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم) . { وَمِنْ^{١٩} هَؤُلَاءِ^{٢٠} } : أي ممن في عهده منهم . { وَمَا^{٢١} يَجْجِدْ^{٢٢} بَيِّنَاتٍ^{٢٣} } ، مع ظهورها وزوال الشبهة عنها ، { إِلَّا^{٢٤} الْكَافِرُونَ^{٢٥} } : أي من بني إسرائيل وغيرهم . .

قال مجاهد : كان أهل الكتاب يقرأون في كتبهم أن محمداً عليه السلام ، لا يحط ولا يقرأ كتاباً ، فنزلت : { وَمَا^{٢٦} كُنْتَ^{٢٧} تَتْلُو^{٢٨} مِنْ قَبْلِهِ^{٢٩} } : أي من قبل نزوله عليك ، { مِنْ^{٣٠} كِتَابٍ^{٣١} } : أي كتاباً ، ومن زائدة لأنها في متعلق النفي ، { وَلَا^{٣٢} تَخُطُّهُ^{٣٣} } : أي لا تقرأ ولا تكتب ، { بَرِيحٍ^{٣٤} مِنْكَ^{٣٥} } : وهي الجارحة التي يكتب بها ، وذكرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة ، لما ذكر إنزال الكتاب عليه ، متضمناً من البلاغة والفصاحة والإخبار عن الأمم السابقة والأمور المغيبة ما أعجز البشر أن يأتوا بسورة مثله . أخذ يحقق ، كونه نازلاً من عند الله ، بأنه طهر عن رجل أمي ، لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يخالط أهل العلم . وظهر هذا القرآن المنزل عليه أعظم دليل على صدقه ، وأكثر المسلمين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) لم يكتب قط ، ولم يقرأ بالنظر في كتاب . .

وروي عن الشعبي أنه قال : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، حتى كتب وأسند النقاش . حديث أبي كبشة السلولي : أنه صلى الله عليه وسلم) ، قرأ صحيفة لعينة ابن حصن وأخبر بمعناها . وفي صحيح مسلم ما ظاهره : أنه كتب مباشرة ، وقد ذهب إلى ذلك جماعة ، منهم

أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي ، والقاضي أبو الوليد الباجي وغيرهما . واشتد نكير كثير من علماء بلادنا على أبي الوليد الباجي ، حتى كان بعضهم يسبه ويطعن فيه على المنبر . وتأول أكثر العلماء ما ورد من أنه كتب على أن معناه : أمر بالكتابة ، كما تقول : كتب السلطان لفلان بكذا ، أي أمر بالكتب . { إِذَا لَـرَّ رَ تَابَ الْمُـطِـلُونَ } : أي لو كان يقرأ كتباً قبل نزول القرآن عليه ، أو يكتب ، لحصلت الريبة للمبطلين ، إذا كانوا يقولون : حصل ذلك الذي يتلوه مما قرأه ، قيل : خطه واستحفظه ؛ فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة ، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فسادهم . والمبطلون : أهل الكتاب ، قاله قتادة ؛ أو كفار قريش ، قاله مجاهد . وسموا مبطلين ، لأنهم كفروا به ، وهو أُمي بعيد من الريب . ولما لم يكن قارئاً ولا كاتباً ، كان ارتيابهم لا وجه له . . { بَلِّ هُوَ } : أي القرآن : { بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ } : واضحات الإعجاز ، { فَرَى صُدُورِ السَّادِينَ أَوْتُواوُ الْعِلْمَ } : أي مستقرة ، مؤمن من بها ، محفوظة في صدورهم ، يتلوها أكثر الأمة طاهراً ، بخلاف غيره من الكتب ، فليس بمعجز ، ولا يقرأ إلا من الصحف . وجاء في صفة هذه الأمة صدورهم : أنا جيلهم ، وكونه القرآن ، يؤيده قراءة عبد الله ، بل هي آيات . وقيل : بل هو ، أي النبي وأمورة ، آيات بينات ، قاله قتادة . وقرأ : بل هو آية بينة على التوحيد ؛ وقيل : بل هو ، أي كونه لا يقرأ ولا يكتب . ويقال : جدته وجدت به ، وكفرته وكفرت به ، قيل : والجحود الأول معلق بالواحدنية ، والثاني معلق بالنبوة ، وختمت تلك